من مدن الثغور البابلية على نهر الفرات مدينة خربة الدينية (خرادوم)

د. محمد طه الاعظمي

الجامعة الإسلامية – بغداد كلية الآداب – قسم التاريخ

مقدمة :

من انماط المنشآت الدفاعية المقامة حول المدن او بعيدا عند تخوم الممالك والاقاليم المراكز الادارية المتقدمة أو المدن الحدودية او ما يصطلح عليه بـ (مدن الثغور)، والتي كان الغرض الرئيس من اقامتها حماية اطراف الاقاليم بوصفها خط الدفاع والانذار الاول للدولة ، وعبرها يتم ارسال الاخبار واشارات التحذير ومختلف التقارير الامنية حول الاوضاع السياسية والاقتصادية للدول والاقاليم المتاخمة لها ، كذلك فان من واجبات الحاميات العسكرية المرابطة في تلك الثغور قمع الاضطرابات ومحاولات الانفصال عن السلطة المركزية لاسيما للمناطق البعيدة عن مركز السلطة السياسية للدولة . وبسبب قرب هذه المراكز الادارية او المدن الحدودية من اطراف الممالك ومن حدود الدول المعادية فانه من المرجح ان تتخذ ايضا كمحطات استراحة وتموين للحملات العسكرية قبل انطلاقها صوب الاقاليم المعادية كما تستخدم مرافقها العمارية بمثابة مراكز ادارية – سكنية للحكام والقواد وافراد القوات المسلحة المرابطين فيها ، هذا فضلا عن استخدام غرفها كمخازن لحفظ المواد الثمينة والمواد الغذائية والعدد الحربية .

انواع المراكز الادارية المتقدمة :-

يرد المصطلح الخاص بالمدن الحدودية في اللغة السومرية بهيئة URU-ZAG، وهو مؤلف من مقطعين اولهما URU بمعنى مدينة والثاني ZAG بمعنى حد ،حدود ، تخوم ، ثغر[١] . ويقابل المصطلح السومري هذا مصطلح اكدي ورد خلال العصر البابلي القديم بهيئة al Patiالمكون من كلمتين ايضا الاولى alum بمعنى مدينة والثانية Patum بمعنى حد ، حدود سياسية[٢] .

كما واستخدم مصطلح آخر منذ العصر الاشوري القديم للدلالة على المناطق المتاخمة لبلاد آشور او الحدود الخارجية للمملكة ، يلفظ بهيئةtahume (القريب في لفظه ومعناه من الكلمة العربية تخوم)وهو يعني حدود ، ثغور ، تخوم . ويرد في النصوص المسمارية (URU – MEŠtahumeŠa mat aŠŠurبمعنى مدن عند تخوم بلاد آشور)[٣].كما تصادف من العصر الاشوري الحديث مصطلحا اداريا مهما ورد بهيئة pihateŠapati اي (حكام التخوم) او (حكام المناطق الحدودية)[٤]

ومن العصر الاشوري الحديث والبابلي الحديث يظهر مصطلح آخر ورد بهيئة kadu او bit kadi الذي يعني (مبنى مراقبة محصن)او(قاعدة امامية) او (نقطة حدودية محصنة)[٥]. وربما نستطيع مقارنة مبنى kadu بدلالاته هذه بالمخافر الحدودية في الوقت الحاضر ، والتي تشيد على وفق نمط خاص مستحكم البناء ، عند الحدود او مع امتداد طرق المواصلات الخارجية ، وكان للمخافر الحدودية هذه مسؤول برتبة rabkadani اي (آمر المخفر) . ويبدو ان من المهام المناطة بالحاميات المرابطة في المخافر الحدودية القيام بدوريات عند تخوم الممالك والاطلاع على تحركات سكان المدن المتاخمة لها والحصول على معلومات استخبارية عنهم ، وجاء في نص من العصر البابلي القديم ان ((اجعل جميع الكتائب (الحاميات) تشن غارة ، اسرجنودهم واستجوبهم))[٦]. هذا فضلا عن امكانية استخدامها كخط دفاعي اولي وارسال اشارات التحذير والانذار للحاميات العسكرية الاخرى ،

واحتمال حدوث صدام مسلح بين حرس الحدود وطلائع الجيش المهاجم لغرض تأخيره وارباكه – كذلك يحتمل ان من مهام الحاميات ايضا فرض النظام على من جاورها من المستوطنات اضافة الى اشرافهم على حماية طرق المواصلات والحفاظ على امن وسلامة القوافل التجارية المارة عبرها . ومن نص يعود الى سرجون الاشوري جاء فيه ((نقاط المراقبة المحصنة kadu ...التي تمتد على طول حدود بلاد ... والتي انشات لتمنع تمرد العدو الطائش ولتوقف تقدمه باتجاه هذين الاقليمين))[٧] ويرد عن سنحاريب في معرض حديثه عن المشاكل التي واجهتها حملته على بلاد بابل قرب كوثى ، حيث قام الجيش البابلي بالتعرض له (وانه حشد المخافر الامامية المحصنة بالحراس بوجه تقدم حملتي)[٨]. ويبدو من نص آخر ان هذه المخافر كانت تخضع لتفتيش دوري يقوم به شخص ذو رتبة مرموقة يرسل نتائج تقريره حول الاوضاع العامة فيها الى الملك مباشرة ((كل شهر ياتي رسول الملك ليتفقد المخافر الحدودية المحصنة ولكن لم يكن هناك احد في مخفرك))[٩] . ويبدو من نص آخر ان جنود الحاميات والمخافر الحدودية يستبدلون بين حين وآخر حتى لايطول ابتعادهم عن ذويهم وعن حقولهم .[١٠]

وهناك نوع من الحصون والقلاع وردت تسميتها في النصوص المسمارية بهيئة birtum كأحدى الوسائل الدفاعية للمدن والاقاليم . ويبدو من المصادر المسمارية الخاصة بالفترة السرجونية ان حصون birtum كانت تشيد بشكل خاص عند الثغور وقرب الحدود الخارجية للمملكة وذلك لتشديد قبضة الدولة على اطراف المملكة ومنع اي تمرد او محاولة انفصال عن السلطة المركزية ، فضلا عن اتخاذها كخط دفاع متقدم للجيش الاشوري ومنها تنطلق الحملات الهجومية المقابلة ، لذلك فقد كانت هذه القلاع مصدر خطر كبير وتسبب متاعب للجيوش المهاجمة لذلك لا غرابة ان تحفل حوليات ملوك آشور بذكر اخبار تدمير وحرق قلاع الاعداء التي تصادفهم في طريق حملاتهم العسكرية . كذلك من المهام الرئيسية الاخرى للقائمين عليها ارسال العيون لتقصي اخبار الاقاليم المحاذية لهم حيث تجمع وترسل بعد ذلك بشكل تقارير دورية الى العاصمة [١١] . وجاء في واحدة من تلك الرسائل الموجهة الى سرجون الاشوري (بخصوص الاوامر التي بلغها لي سيدي الملك التي تتضمن مراقبة شعب بلاد اورارتو، رسلي دخلوا بيت ... في مدينة ... وقد اخبرونا بما ياتي ...)[١٢]

ويظهر ان اهمية مبنىbirtum في النظام الدفاعي الخارجي للمملكة الاشورية ان كانت عملية بنائها حدثا هاما يتطلب بذل الجهد والعناية من لدن السلطة المركزية وأن أنشائها يتم على وفق تخطيطمسبق منظم وبابعاد خاصة . وكان المرجع الاعلى والمسؤول المباشر عن اجراءات البناء ، وبخاصة في الفترة السرجونية ، هو ولي العهدالذي يكلف من قبله شخصية مرموقة في الدولة ينيب عنه في السيطرة وتوجيه العمل والاشراف عليه[١٣]. كما يبدو من بعض النصوص ان اجراءات انشاء هذه القلاع لم يكن بالامر اليسير وبخاصة ان كان العمل قرب حدود البلاد الخارجية وعند مناطق الاضطرابات ، وذلك لمعرفة الاعداء بخطورة مثل هذه المنشآت الدفاعية العسكرية واثرها الذي يهدف بالنهاية الى زيادة القدرة الدفاعية للاشوريين مقابل اضعافهم والحد من نفوذهم . لذلك كانت كثيرا ما تتعرض للهجوم ومحاولة منع انجاز البناء او تهديمه ، وفي هذه الحالة فان التقارير المستعجلة كانت ترسل الى ولي العهد الذي يرفعها الى الملك مباشرة ليتخذ الاجراءات المناسبة بشانها[١٤] .

ان المهام الملقاة على عاتق القائمين على هذا النوع من الحصون والمسؤولية الكبيرة التي يتحملون اعباءها وما يحتله هذا النوع من المنشآت الدفاعية من مكانه لايستهان بها ضمن اساليب ونظم الدفاع الاشورية ، وقد استلزم ان يتعهد امر الاشراف على مجاميعها المبثوثة في ارجاء المملكة شخصية رفيعة المستوى في البلاط الملكي . ويبدو لنا استنادا الى رسائل ملكية بعث بها سنحاريب عندما كان وليا للعهد في زمن ابيه سرجون ، انه اي ولي العهد ، كان المسؤول المباشر عنها – بعد الملك – الذي يركن اليه في تنظيم امورها وتحديد مهامها والاشراف على بنائها ، وكانت ديباجة رسائله الموجهة الى ابيه الملك تضم عبارات (الى الملك سيدي ، خادمك سنحاريب ، الصحة الطيبة للملك

سيدي ، آشور بخير المعابد ، بخير ، جميع قلاع الملك بخير . ليكن سيدي مسرورا حقا)[١٥].اما مسؤولية قيادة وادارة شؤون القلعة فقد عهد بها الى مسؤول برتبة (آمر القلعة) = LUGALbirti rabbirti . وهناك مسؤول آخر هو رئيس الحرس =UGU . LU2. EN .NUN muhhimaşşaru.[١٦].

ومن المنشآت العمارية المقامة عند الثغور تلك التي وردت بهيئة bit mardeti وهو يقرب في معناه من (محطة استراحة) وهو مرفق عمارى يشيد عند الطرق الخارجية وعلى مسافات تقرب من ٣٠ كم بين واحد وآخر . وتعنى هذه المنشآت بتقديم المؤنة واماكن الراحة وتبديل الخيول للوحدات العسكرية المتنقلة والى التجار والمسافرين ، كما يستفاد من خدماتها بشكل خاص السعاة والمراسلين الملكيين حيث يتم عندها استبدال الخيول المتعبة والعربات وطواقمها باخرى جديدة لضمان عدم تأخر او توقف (البريد الملكي) وتؤمن وصوله بأسرع وقت[١٧].

وهناك مصطلح آخر يرد بصيغة GUB . KI في اللغة السومرية يرادفه في اللغة الاكدية كلمة manzazum وهو يعني موقعا عسكريا او محطة او محلا للاستراحة [١٨]. ويبدو من النصوص المسمارية التي وردت فيها هذه الكلمة في العصر الاشوري الحديث ان انشاء مثل هذه المحطات على طول الطرق والمسالك المهمة كان بهدف حمايتها وحماية القوافل التجارية المارة عبرها او ان تتخذ بمثابة اماكن للاستراحة والتزود بالمؤن . ويبدو من بعض النصوص وجود خرائط خاصة بتحديد المسالك والطرق يرد فيها ان مواقع هذه المحطات manzazum كانت تعلم بعلامات فارقة لتميزها عن بقية العوارض الاخرى ((اذا المحطة الثانية مرسومة عند اعلى المحطة الاولى ..))[١٩].

المراكز الادارية المتقدمة والمدن الحدودية في المصادر المسمارية :

وبعد هذا العرض السريع لمجمل المصطلحات الخاصة بمدن الثغور والحاميات والمخافر الحدودية ، نتناول بعض ما ورد عنها في الكتابات التذكارية الخاصة بملوك بلاد وادي الرافدين ، حيث تشير اقدم النصوص المسمارية من زمن لوكال زاكيزى (القرن ٢٤ ق.م) الى ذكر المدن او المراكز الحدودية في نص يدور اساسا حول تحديد اطوال المسافات الفاصلة بين بعض الابراج والحصون والمدن الحدودية التي كانت ممتدة عند تخوم مملكته ، دون ذكر تفاصيل اخرى حول طبيعة تلك المدن الحدودية [٢٠]. ومن العصر البابلي القديم تتكرر الاشارات التأريخية وبخاصة (النصوص التقويمية) التي تشير الى بناء الحصون والمراكز الادارية او المدن الحدودية عند اطراف وحدود الممالك المنتشرة في ارجاء بلاد الرافدين ، ونذكر على سبيل المثال عن اعمال الملك حمورابي ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م الذي صرف ما يقرب من ثمانية عشر عاما متتالية من حكمه لاعمار وتقوية وتدعيم استحكامات المدن الواقعة على تخوم مملكته او ببناء مراكز ومدن حدودية جديدة.

اما في العصر الاشوري فيبدو من المصادر المسمارية انه كان من ضمن اولويات اهتماماتهم ، العناية بحماية حدودهم المترامية الاطراف وبخاصة من الجهات الغربية والشرقية والشمالية والتي كانت في الوقت ذاته الشريان الحيوي الذي يرفد البلاد بما تحتاج اليه من مواد اولية صناعية او غذائية تفتقر اليها . فمن حوليات الملك أرد دنيرارى الثاني في العصر الاشوري الحديث (٩١١ ق.م) ، نجد اهتمامه البالغ بتقوية حدود مملكته الغربية وبخاصة تلك المتاخمة للاراميين وفي تأمين الطريق التجاري الغربي المار مع الجانب الشرقي لنهر الفرات . ويبدو من كتاباته تلك كثرة عدد الحصون والمدن الحدودية التي شيدت على طول هذا الخط التجاري – العسكري ، ومن ذلك يذكر ان احدى المدن التي شيدها اسلافه من قبل قد تهدمت وتقوضت دفاعاتها لذلك(تلك المدينة اعدت بناءها من اساسها الى قمتها ، اصلحتها واكملتها ، جعلتها جميلة ، جعلتها رائعة ، جعلتها اعظم مما كانت في السابق ، قصري الملكي ، البناء المذهل ، بنيته وسطها)[٢١]

ومن نص يعود الى آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م) نجد انه عمد الى بناء مدن حدودية او مراكز ادارية محصنة عند تخوم مملكته وبخاصة عند المناطق التي تشهد حركات انفصالية وتمرد ضد السلطة الاشورية وتكون هذه المراكز الحدودية بمثابة مدينة – معسكر لاقامة افراد القوات المسلحة . فبعد انتهاء حملته التي شنها على مدن الفرات جنوبي مدينة عنه ، وذلك لتأمين خط الفرات الحيوي ،قام ببناء مدينتين هناك على ضفتي النهر ((الاولى على هذا الجانب من الفرات واسميتها كار آشورناصربال والاخرى على الجانب البعيد من الفرات واسميتها nibarri – (assur))[٢٢]

مدينة خرادوم (خربة الدينية):-

يبدو من الشواهد الاثارية انه منذ العصر الاكدي فان ملوك بلاد وادي الرافدين قد وجهوا عنايتهم نحو تشييد المراكز الادارية عند تخوم مملكتهم وبخاصة على امتداد الطريق التجاري – العسكري الواصل الى بلاد الشام والممتد الى سواحل البحر المتوسط وجنوبي الاناضول . وكانوا يهدفون من وراء عملهم هذا حماية الطريق التجاري الحيوي الذي يربط سواحل البحر المتوسط شمالاً بسواحل الخليج العربي جنوبا ، وربما كان الغرض من ذلك ، ان تكون مدن الحدود هذه بمثابة مراكز ادارية عسكرية متقدمة تشكل الدفاع والانذار الاول للمملكة بالاضافة الى اتخاذها كمحطات استراحة وتموين للقوافل والقطعات العسكرية على حد سواء .

اما في العصر البابلي القديم ، فيبدو لنا ، انه بسبب اهمية وخطورة المدن الحدودية او المراكز الادارية المقامة على اطراف الاقاليم والممالك ، فقد عمد حكام الممالك الذين حكموا بشكل خاص في النصف الاول من العصر البابلي القديم ، الى انشاء مثل تلك المراكز الادارية عند تخوم واطراف ممالكهم وكانت تتميز كما نظن بمخططات ارضية ذات طابع دفاعي مستحكم متشابهة فيما بينها بشكل عام، ويمكننا تتبع عددا من تلك المراكز الادارية المحصنة عند التخوم الغربية لمملكة اشنونا مثلا او عند التخوم الغربية لمملكة بابل القديمة عند اعالي الفرات قرب مدينة عنه الحالية . ولغرض توضيح وجهة نظرنا الخاصة بنمط واسلوب بناء هذه المراكز والمدن الحدودية المحصنة فاننا سنعمد الى دراسة واحدة منها ، وهي التي تدعى بقاياها الان باسم خربة الدينية والتي يرجح الباحثون بشيء من التأكيد كونها مدينة حدودية او مركزا اداريا (متقدماً) ادت دورا مهما في السيطرة والتحكم بحركة التجارة الخارجية بين بلاد بابل واعالي الفرات . وسنحاول من خلال دراستنا لمخطط هذه المدينة ان نتحرى عن اصول وانتشار مثل هذه المراكز الحدودية التي يبدو انها قد ظهرت وتبلورت- بهذا التصميم – في العصر البابلي القديم .

تقع خربة الدينية في منطقة حدودية بين بلاد بابل وآشور على الجانب الغربي لنهر الفرات ، على بعد ٣٢ كم شمال غرب عنه و ٧٠ كم جنوب شرق مدينة ماري (تل الحريري) . ترتفع بقاياها الان حوالي ١٥٣م فوق مستوى سطح البحر [٢٣]. وقد عرفت في المصادر المسمارية من العصر البابلي القديمبأسم (خرادوم) وكانت واحدة من المدن البابلية المهمة التي ضمها الملك سمسوايلونا الى دواته في السنة ٢٦ من حكمه وبقيت تحت النفوذ البابلي وصولا الى عصر امي صدوقا ١٦٤٦ – ١٦٢٦ ق.م بعدها خضعت المدينة الى نفوذ مملكة سوخوثم الى الحكم الاشوري ابتداء من عصر تجالات بلاسر الثالث ١١١٥ – ١٠٧٧ ق.م.[٢٤]

مساحة الموقع ٢,٢٥ هكتار ، ذات تخطيط مربع الشكل تقريبا ، طول ضلعها يبلغ قرابة ١١٥م ، يحيط بها سور خارجي بسمك ٣ م تقريبا وهو عبارة عن جدارين متوازيين يحصران بينهما سلسلة من الغرف الصغيرة (casemate).السور مدعم بابراج او طلعات ضحلة تتخلل واجهته الخارجية ، اما اركانه فهي مدعمة بابراج ركنية كبيرة الحجم . يقع المدخل الوحيد للمدينة في منتصف الضلع الجنوبي الغربي وهو بعرض يقرب من ٢ م يحف به من الجانبين ، برجان عريضان نصب عندها

تمثالان لاسدين رابضين صنعا من الفخار وطليا باللون الاحمر والاسود . يفضي المدخل الى شارع رئيسي وهو اعرض شوارع المدينة ، يؤدي الى مركز المدينة حيث المعبد الذي يقع الى الشمال قليلا من مركز المدينة ، والى الشرق منه تقع اكبر البيوت السكنية والذي من المرجح ان يكون المقر السكني – الاداري لحاكم المدينة . ويتعامد على هذا الشارع عدد من الطرق المستقيمة التي قسمت المدينة الى ثمانية اقسام يضم كل منهما عشر وحدات عمارية . وتنتشر البيوت السكنية الخاصة وورش العمل والمخازن في انحاء متفرقة من المدينة . وقد عثر على بئر حفر داخل الموقع وقد تكون هناك آبار اخرى لتزويد السكان بمياه الشرب عند الحالات الطارئة[٢٥].

راسها ويبدو من هذا الوصف ان الموقع يتميز بدقة تنظيم والذي يشير الى وجود تخطيط مسبقا تم اعداده على وفق خطة كانت كما نعتقد ، تقليدا معروفا ومتداولا في اماكن اخرى من بلاد الرافدين ، الا انها في هذه المدينة قد بلغت الذروة في فن التخطيط الحضري لمثل هذه المراكز الادارية الحدودية

نماذج اخرى من المدن الحدودية :

ولتوضيح وجهة نظرنا الخاصة بوجود نمط محدد لتخطيط المدن الحدودية او (المراكز الادارية المتقدمة) في العصرالبابلي القديم ، على وفق ما عرضنا في خرادوم (خربة الدينية) ، تستعرض لمثالين آخرين كانا يتسمان بتخطيط بقرب كثيرا من مخطط خرادوم (خربة الدينية) والتي نعتقد انها كانت متشابهة ايضا في وظيفتها او الغاية التي انشئت من اجلها ، واول هذين المثالين نذكر موقع (شادبوم) الذي تعرف بقاياه حاليا باسم (تل حرمل) وهو احد المواقع المهمة في مملكة اشنونا والتي تقع على بعد يصل الى اكثر من ٣٠ كم جنوب غرب موقع تل اسمر عاصمة مملكة اشنونا [٢٦] . يحيط بالموقع سور رباعي الاضلاع يقرب شكله من مستطيل غير منتظم تتجه زواياه نحو الجهات الجغرافية الاربعة . تتراوح ابعاد اضلاعه قرابة ١٤٧م للضلع الجنوبي الشرقي و ١٣٤م للضلع الشمالي الشرقي و ١٤٧م للضلع الشمالي الغربي و ٩٨م للضلع الغربي [٢٧].

بني السور من اللبن بسمك يصل الى ٣م تقريبا ، تتخلل بدنه ابراج تبرز عن كلتا واجهتيه الداخلية والخارجية شيدة على التوالي بشكل برج كبير يليه برج او طلعة ضحلة ، بفاصل بينهما مقداره ٦م تقريبا ، بلغت ابعاد البرج الكبير قرابة ٦,٣٦ × ٦م ، اما البرج الصغير فكان بابعاد ٥,٦٠ ×٥م تقريبا . وهناك ابراج تتوزع على الاركان الاربعة بابعاد تصل الى ٦×٦م تقريبا عدا البرج الجنوبي اذ كان اوسع من بقية الابراج.

للموقع مدخل واحد فقط يقع عند منتصف الضلع الشمالي الشرقي تقريبا ، اقرب الى الزاوية الشرقية ، وهو عبارة عن مدخل من النوع البسيط ذو ممر بعرض يقرب من المترين ، يحف به من الجانبين برجان بطول لايقل عن اربعة امتار ، ويتقدمان المدخل بمسافة مترين تقريبا بشكل طلعة كبيرة مزدوجة مما اضفى على المدخل مسحة دفاعية واضحة . يفضي المدخل الى شارع رئيسي عريض يمتد باستقامة الى داخل الموقع وتتعامد عليه من الجانبين طرق مستقيمة اقل عرضا من الشارع الرئيسي تتوزع على جانبيها الاحياء السكنية والخدمية للمدينة . ويقع المعبد الرئيسي الكبير على الجانب الايمن من الشارع الكبير وهو مخصص للمعبودين (خاني – نيسابا) نصبت على جانبي مدخله اسدين رابضين بالحجم الطبيعي عملا من الفخار [٢٨].

يقابل المعبد من الجهة الثانية من الشارع بناية ادارية مهمة لها ساحة وسطية كبيرة حولها ما يقرب من ١٥ غرفة مختلفة الاحجام اتخذت على الاغلب – استنادا الى نمط تصميمها – مقرا سكنيا – اداريا لحاكم هذه المدينة . كذلك فقد شيد على جانبي الشارع هذا عدد آخر من المعابد الصغيرة والمزارات والابنية الادارية والخدمية ، وفي الغالب فان المباني الدينية والرسمية كانت تتمركز وسط المدينة تقريبا بينما انتشرت دور السكن والمرافق الخدمية الاخرى خلفها وعند اطراف المدينة.

وتشير النصوص المسمارية المكتشفة في الموقع الى ان الصفة الغالبة على الممارسات المدنية فيه كانت بالدرجة الاساس فرض السيطرة الادارية والاقتصادية على المناطق المحيطة به ، اضافة الى كونه مركزا لجمع الضرائب والاتاوات التي ترد الى الحكومة المركزية من المقاطعات الصغيرة التابعة لمملكة اشنونا [٢٩]. كذلك يبدو استنادا الى تلك الرقم والى المخطط العام له ، ان الموقع قد انشىء بنمطه المستحكم هذا وباسلوب توزيع مرافقه الحضرية ، التي تشير الى تخطيط ذي اسس منظمة تهدف بشكل رئيسي الى جعله مركزا اداريا – سياسيا يدير شؤون التخوم الجنوبية الغربية لمملكة اشنونا ، وذلك ابتداء من اقدم ادوار الموقع العائدة الى فترة العصر البابلي القديم ،وهو الدور الثالث فيها المرتبطة بزمن حكم الملك ابق – ادد الثاني ملك اشنونا (بحدود القرن ١٩ق .م)[٣٠].

اما النموذج الثاني من تلك المدن الحدودية او المراكز الادارية المتقدمة ، فقد شيد جنوب شرق مملكة اشنونا شيد عند احد تلول مدينة توتب (خفاجي) والذي يعرف باسم التل (دال D) على الضفة الشرقية من نهر ديالى جنوب غرب موقع تل اسمر عاصمة مملكة اشنونا بحوالي ٢٠كم . يظهر من الالواح المسمارية المكتشفة فيه انه يعود بتاريخه الى النصف الاول من العصر البابلي القديم – اي انه اقدم نموذج لهذه المراكز – وانه كان يرتبط بعلاقة سياسية – ادارية مع المواقع القريبة منه في تل اسمر واشجالي[٣١].

الموقع ذو مخطط دفاعي عسكري مستحكم البناء صغير المساحة ، يحيط به سور سميك من جميع جهاته بشكل اقرب الى ان يكون مستطيلا غير منتظم ، تصل ابعاده الى حوالي ٢٠٠ × ١٥٠م وتتجه اركانه نحو الجهات الاربعة . شيد سوره من اللبن ، بسمك يتراوح بين٧ –١٢م تقريبا ، لم تبق منه سوى اجزاء قليلة من بدنه واسسه . بلغ طول الضلع الجنوبي الغربي قرابة ١٥٠م ، اما الضلع الجنوبي الشرقي فقد بلغ طوله ٢٠٠م تقريبا ، اما الضلع الشمالي الشرقي فقد كان بطول ١٠٠م تقريبا ، وبلغ طول الضلع الغربي الذي لم يشيد بصورة مستقيمة بل ينحرف قرب القسم الشرقي منه بزاوية قائمة ليعود بعدها الى مساره فقد بلغ طوله ابتداء من الزاوية الشمالية والى نقطة الانحراف قرابة ٦٠م بعدها يتجه الى الغرب بطول ٣٣م تقريبا ثم يمتد نحو الزاوية الغربية للموقع بطول بلغ قرابة ١٩٠م .

تتخلل الواجهة الخارجية لبدن السور ابراج مشيدة على التوالي بهيئة برج كبير يليه برج او طلعة ضحلة بفاصل بينهما بلغ مقداره ١٥م تقريبا ، طول الابراج الكبيرة قرابة ٣٧م تبرز عن الواجهة قرابة المترين ، اما الطلعات الضحلة فهي بطول ٧م ايضا وتبرز مساحة ٤٠ – ٥٠ سم عن واجهة السور ، وهناك ابراج ركنية كبيرة عند جميع اركانه وهي مربعة الشكل بابعاد ٨ × ٨م تقريبا[٣٢].

للموقع مدخل واحد فقط يقع في منتصف الضلع الشمالي الشرقي بالضبط ، وهو عبارة عن بوابة ذات طبيعة مستحكمة ، يحف بمدخلها برجان كبيران بطول ٤م يتقدمان واجهة السور باكثر من نصف متر تقريبا ، تزين واجهته الخارجية طلعات ودخلات مزدوجة صغيرة . ويتقدم البوابة على جانبي المدخل جداران بطول ٢٠م تقريبا ربما كانا بقايا جانبي منحدر يفضي الى البوابة[٣٣]. يؤدي المدخل الى ممر طولي الشكل يوصل الى قاعة مدخل مستعرضة كبيرة ، ومنها الى المدخل الثاني داخل المدينة شيدت جميعها على محور واحد ، ويمر عبر بناية البوابة اسفل ارضيتها مجرى مائي من الفخار لتصريف المياه الى الخارج .

تفضي البوابة الى الشارع الرئيسي الذي يتوسط المدينة ، وهو يمتد باستقامة ليصل الى بناية المعبد الرئيسي في المدينة والمخصص للمعبود سين[٣٤]. وتقرب مساحة المعبد من ٤٥ ×٧٥م يحتل الجزء المركزي من الموقع ، يزين مدخله تمثالان لاسدين رابضين مصنوعين من الفخار . وتتعامد على الشارع الرئيسي عدة شوارع وازقة صغيرة تتوزع حولها البيوت السكنية والمرافق الخدمية والادارية المختلفة . على انه لم يعثر على ممر او شارع يفصل الاحياء السكنية عن الواجهة الداخلية

لسور المدينة ، بل شيدت المرافق العمارية لصق السور مباشرة . ويعتقد منقبو الموقع ،ان الطبيعة البنائية المستحكمة للموقع والمتمثلة بسمك السور وتعدد ابراجه وبمدخله المستحكم، فان الموقع كان على الاغلب ذو وظيفة دفاعية عسكرية وادارية ايضا وخصوصا للمناطق المحيطة به والتابعة لمملكة اشنونا [٣٥].

الخلاصة والاستنتاجات :

يبدو لنا من خلال استعراض موقع خرادوم (خربة الدينية) والمواقع الاخرى من العصر البابلي القديم ، انها قد اتصفت بميزات عمارية وتخطيطية موحدة تقريبا ، تتمثل بشكلها الرباعي الاضلاع ، يحيط بها سور سميك تتخلله ابراج صغيرة وكبيرة مشيدة على التوالي فيما بينها ، اضافة الى بناء ابراج ركنية كبيرة لم تشاهد مثلها في عمارة اسوار المدن البابلية القديمة ، بل انحصر استخدامها في هذه النماذج من المراكز الادارية – الحدودية . كذلك تتميز جميعها بان لها مدخلا واحدا فقط يؤدي الى شارع رئيسي اعرض من جميع الشوارع الاخرى وتتعامد عليه وتتفرع منه طرق وازقة اقل سعة واهمية منه . كذلك نجد في تخطيطها المدني ان الابنية الدينية الكبيرة والمرافق الرسمية قد احتلت جانبي الشارع العريض هذا عند المنطقة المركزية للموقع ، كذلك يبدو لنا استنادا الى ما عثر في خربة الدينية ان هذه المدن كانت تتزود بالمياه من مجرى كبير مجاور لها ، مع العمل على حفرآبار داخل المدينة توفر المياه الصالحة للشرب عند الحالات الطارئة ، وهي ميزة دفاعية لايمكن التقليل من شأنها .

ومن الجدير بالذكر ان مداخل المعبدين الرئيسين في التل (د) وتل حرمل ومدخل مدينة خربة الدينية كان كل واحد منها مزين بتمثالين لاسدين رابضين على جانبي المدخل صنعا من الفخار بالحجم الطبيعي تقريبا ، نعتقد ان لها وظيفة دفاعية ايضا الا انها وظيفة دفاعية ذات طبيعة دينية – سحرية (اضافة الى اهميتها التزينية الجمالية) وذلكلحماية مدخل المدينة او مدخل المعابدمن دخول الارواح الشريرة بداخلها وكذلك لصد اي تعاويذ سحرية يمكن أنتنشر الضرر والمتاعب فيها .

ويبدو لنا ان استخدام تماثيل الاسود لغرض الحماية السحرية – الدينية على المدينة بشكل عام وعلى ابنيتها المهمة ، كانت هي السلف الاقدم لفكرة وضع التماثيل الحارسة ذات الصبغة الدينية – السحرية التي انتشرت فيما بعد في العصور اللاحقة ، والتي ظهرت بشكل اسود او اسود مجنحة وثيران مجنحة في العصور الاشورية ، او بشكل منحوتات بارزة لاسود وثيران وتنانين كانت تزين جدران البوابات والشوارع الرئيسة لمدينة بابل في العصر البابلي الحديث .

واخيرا نشير الى ميزة مهمة اخرى لهذه المواقع وتتمثل في انها قد اقيمت عند اطراف وتخوم الممالك والاقاليم او بعيدا عن المدن الرئيسية فيها ، ويدير شؤونها حاكم اومحافظ يحكم فيها نيابة عن الملك في العاصمة . وهي ادلة تشير بمجموعها الى احتمال كونها مراكز محصنة مستحكمة البناء تخدم اغراضا ادارية ، اقتصادية – دفاعية وتدير شؤون المناطق الحدودية لتخوم الممالك والاقاليم التي انتشرت بصورة خاصة في العصر البابلي القديم .

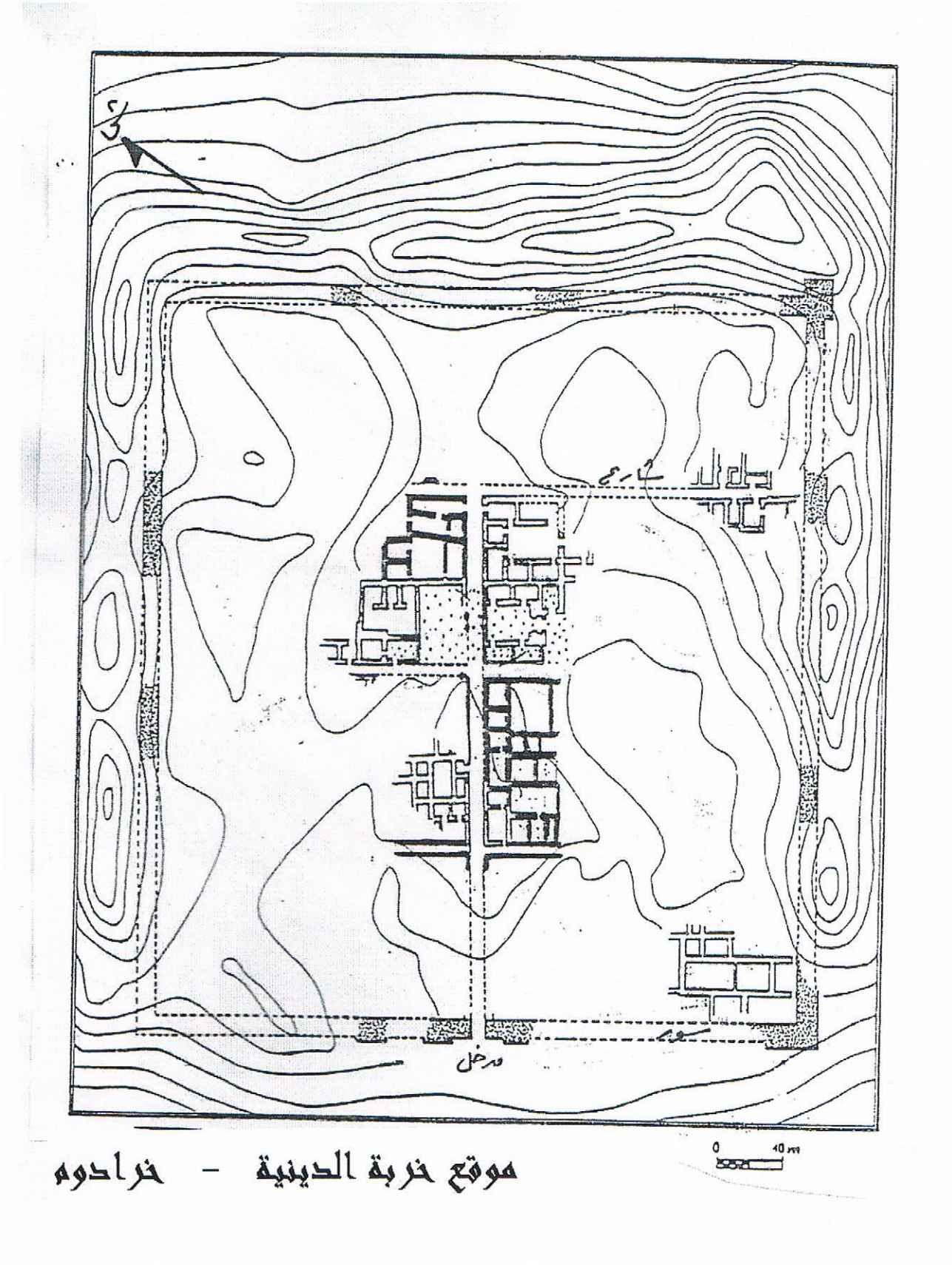

موقع خربة الدينية - خرادوه

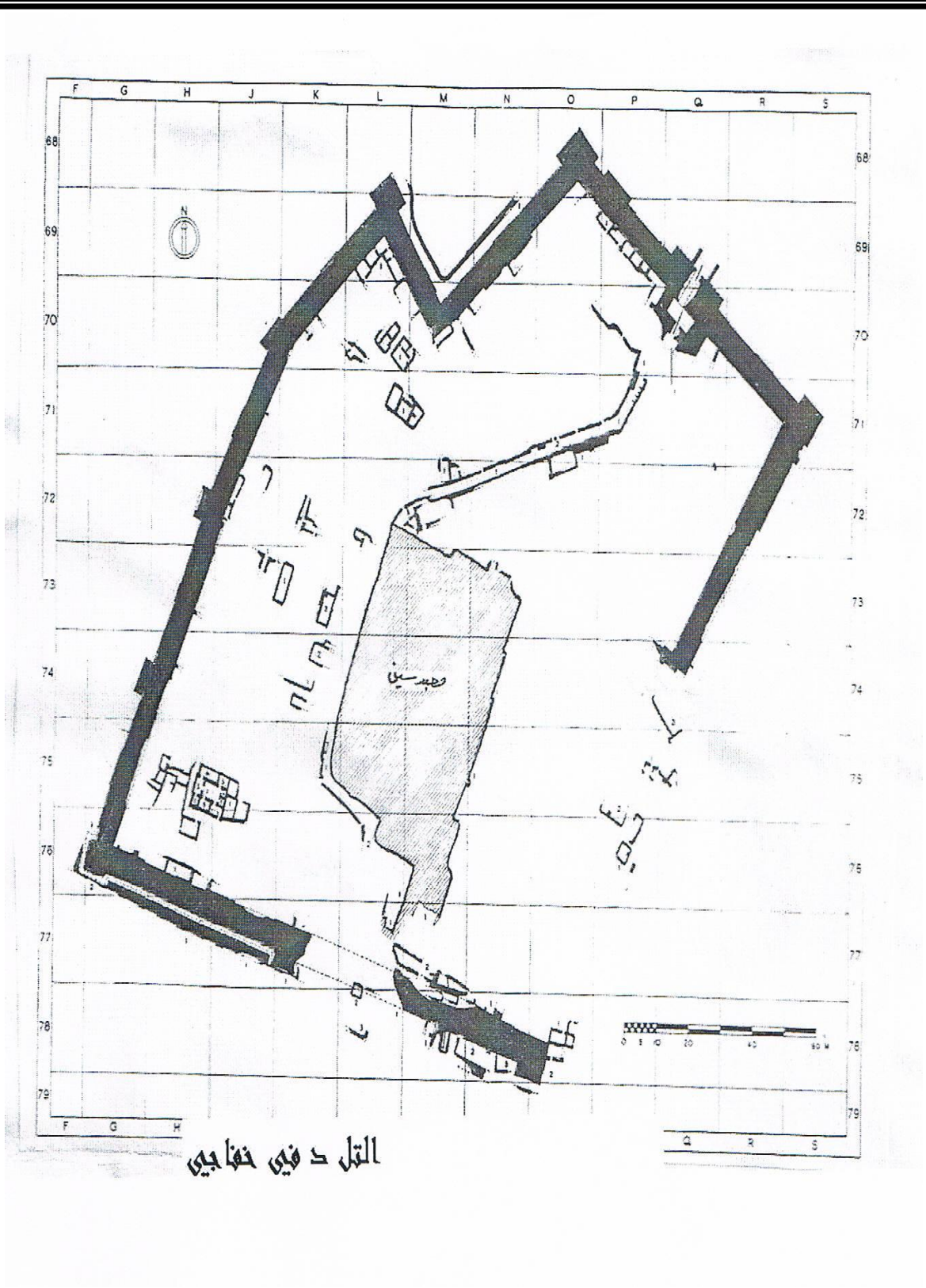

التل د في خفاجي

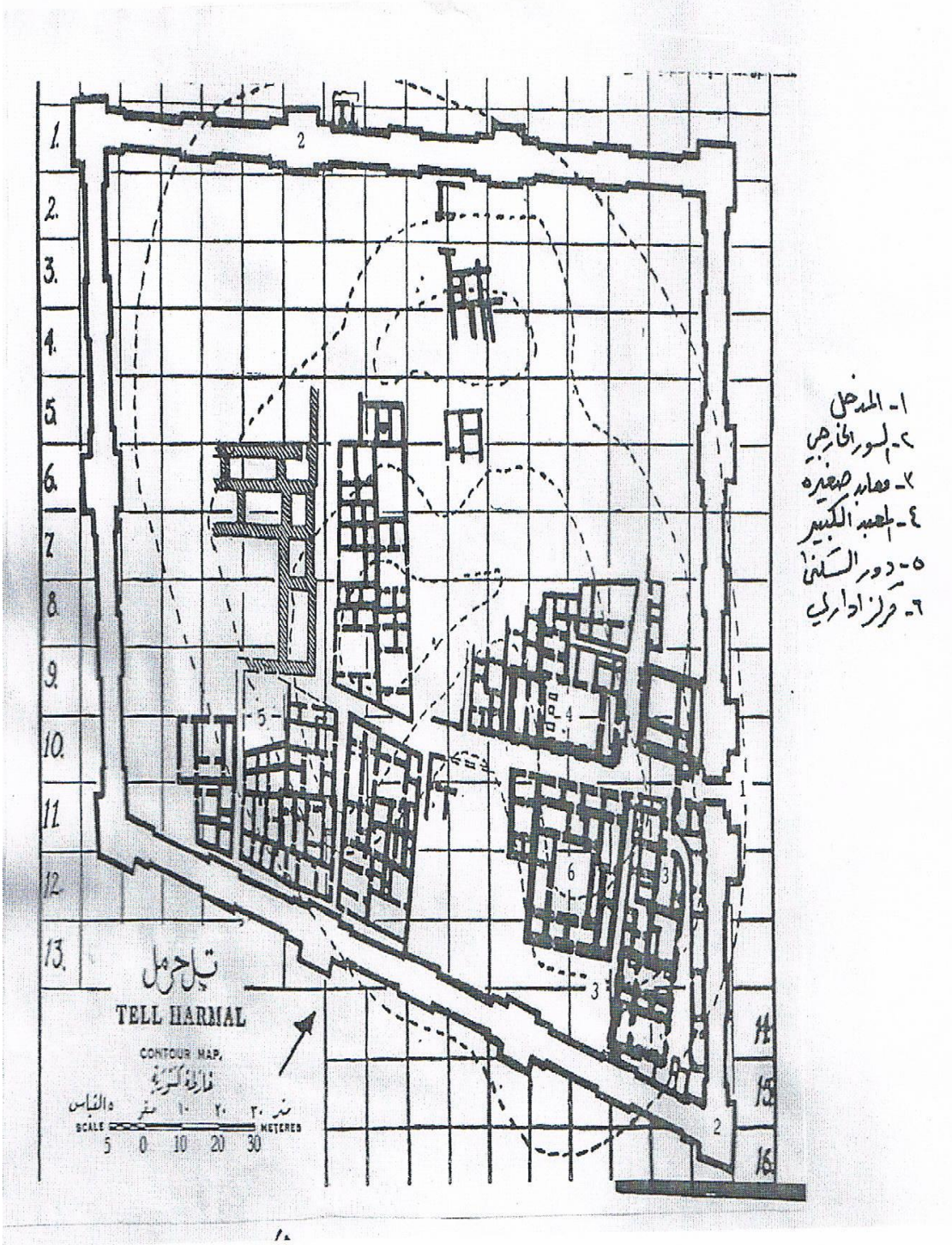
١- المدخل
٢- السور الخارجي
٣- معابد صغيره
٤- المعبد الكبير
٥- دور السكنى
٦- مركز اداري
تل حرمل
TELL HARMAL
CONTOUR MAP,
SCALE
METERES
5 0 10 20 30

أسود فخارية من تل حرمل

الهوامش

[١] - Labat , R. Manual D' EpiqraphieAkkadienne ,Paris , 1976 p .57 .

[٢] - lbid .p .57. \Von Sodden , W. AkkadischesHandworterbuch , Wieshaden , (AHW) , 1959 - , p. 851.

[٣] - Oppenheim , L- (edi) the Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago (CAD) , USA , 1956 – voL – A1 , p.381

تقرب الكلمة tahume من الكلمة العربية تخوم التي تعني الحدود وهي ((الفصل بين الارضين من المعالم والحدود)) والكلمة مؤنثة وهي من الالفاظ التي استعملت للمفرد والجمع والتخم منتهى ارض كل كورة او قريبة. انظر: ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٤- ١٩٥٦ مادة تخم.

[٤]- Thompson , R. The Prisms of Esarhaddon and of Ashurbanipal , London , 1931 p .15 .

[٥]- CAD –voL. k – p .33 \ AHW p .419 .

[٦]- CAD –voL. G , p .120 .

[٧]- CAD –voL.K – P .34 .

[٨]- Luckenbill , D.The Annals of Sennacherib ,OIP , vol. 2 , USA- 1924 , p . 50.

[٩]- CAD voL.K, P. 34.

[١٠]- Ibid .

[١١]- Parpola , S. The Correspondence of Sargon II, part 1, Finland , 1987 p . 46 .CAD , vol. B, p . 262 .

[١٢]- Waterman , L .Royal Correspondence of The Assyrian Empire ,Part 1 , USA , 1930 , P. 85 .

[١٣]- Parpola , S. Op.Cit ,PP- 28, 29 , 222.

[١٤]- Ibid . P . 28 – 29 .

[١٥]- lbid . PP . 28 – 29 , 38 .

[١٦]- CAD, vol . B, p .263 .-lbid .P . 211 ,219

[١٧]- Parpola , S . Op.CitP . 211 .

[١٨]- CAD –voL.M1 – P .234 .

[١٩]- lbid .

[٢٠]- Sollerger, E. andKupper, S. Inscription RoyalesSumeriennes et AkkadiennesParis , 1971 ,PP .91 – 93 .

[٢١]- Luckenbill , D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, voL.1 USA, 1975, p .111 .

[٢٢]- Ibid , pp. 147 , 163, 181

ربما كانت بقايا هاتين المدينتين ما يعرف حالياً باسم موقع كليعة وسور مهرة على نهر الفرات شمال مدينة حديثة. انظر:

Young, T. ((the Assyrian Army on the Middle Euphrates)) Bulletia in Society for Mesopotamian Studies , Canada , 198, p. 30.

[٢٣]-كبنسكي ، كرستين ولي كونت ، اوليفيه ،((خربة الدينية قلعة على ضفاف نهر الفرات في المنطقة المتأخمة لحدود بابل واشور)) سومر مجلد ٤٥ بغداد ١٩٨٧ ، ص ٢٩١.

[٢٤]- المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .

[٢٥]- المصدر نفسه ص٢٩٢-٢٩٣.

[٢٦]- يقع (تل حرمل) على بعد ٩ كم شرق مركز بغداد في قضاء بغداد الجديدة. يرجع الاستيطان فيه الى العصر الاكدي..

[٢٧] -Baqir , T. ((Tell Harmal)) Sumer , voL.2 , 1946 , p. 25Ibid , p . 22 .

[٢٨]- Ibid , P . 23 .

[٢٩]- حول النصوص المكتشفة في الموقع انظر. حميد ، احمد مجيد ، دراسات في نصوص مسمارية غير منشورة من جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٧٩ – ٢٨١ .

[٣٠]- تعد فترة حكم ابق ادد الثاني من فترات ازدهار مملكة اشنونا. انظر .

[٣١]- Delougaz , and Others , Old Babylonian Public Buildingsin the DiyalaRegion OIP.98 , USA , 1990 P. 215 , 219.

[٣٢]- Ibid .PP . 217 – 219.

[٣٣]- Ibid .PP . 218 – 219

[٣٤]- Ibid . P .221 .

[٣٥]- Ibid . P. 223.